

نَفحات القرآن

[324] نحو رحمة الله وتركتمونا في العذاب؟ فيجيبهم المؤمنون "بلى" كنا معكم في مجتمع واحد، في الزقاق وفي السوق، وفي السفر والحضر، وكنا جاراً لكم، بل عشنا في بيت واحد، ولكنكم أخطمتم خمسة أخطاء فاحشة، الأول أنكم سلكتم طريق الكفر والنفاق ففتنتم أنفسكم (وَلَكِنَّكُمْ أَخْطَمْتُمْ خَمْسَةً فَاحِشَةً، الْأَوَّلُ أَنَّكُمْ سَلَكْتُمْ طَرِيقَ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ فَفَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ) (وَلَكِنَّكُمْ أَخْطَمْتُمْ خَمْسَةً فَاحِشَةً، الْأَوَّلُ أَنَّكُمْ سَلَكْتُمْ طَرِيقَ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ فَفَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ) وثانياً، أنكم (تربصتم) وترصدتم فشل المسلمين، وموت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتحججتم في كل عمل خير. وثالثاً (وَأَرَوْا تَبَيُّنْتُمْ) وترددتم خاصة في مسألة المعاد، وحقانية الاسلام. ورابعاً (وَعَزَّزْتُكُمْ الْأَمَانِيَّ) التي نسجت حجاباً ضخماً على عقولكم وأفكاركم (حَتَّى جَاءَ أَمْرُ) . وخامساً (وَعَزَّزْتُكُمْ بِالْإِسْلَامِ الْغَرُورِ) أي غرکم الشيطان بعفو الله ووعدكم بالأمان. إن هذه العوامل معاً أوجدت المنظر الذي صورہ القرآن لنا، وهي التي سببت خلق سور عازل بين المؤمنين والمنافقين. إن شاهد حديثنا هو الجملة الرابعة، حيث جاء فيها (وَعَزَّزْتُكُمْ الْأَمَانِيَّ)، فإن الأمانى قد تصل الى درجة بحيث تشغل فكر الانسان بالكامل، فيغفل عن كل شيء، ويظل في عالم الوهم والظن، فتعمى عينا، ويثقل سمعه، ويفقد وعيه (إذا كان واعياً)، ويضل في الظلمات التي وضعها بنفسه تائهاً. إن سعة الأمانى قد تصل الى درجة يرسم صاحبها خططاً لنفسه لا يمكن تطبيقها حتى لو كان نوحاً في العمر، وقد يقوم بمقدمات امنية، الكل يعلم بعدم امكانها حتى لو كان قد بدأ بها منذ قرون، وهذا هو حجاب الامانى الذى يحول دون المعرفة.